

في رمضان

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ليقل من شاء ما شاء ، فاني أعتقد أن الله تعالى يغفر لي ذنوبي
وخطاياي جميعاً جزاء لي على صبري في رمضان . ومن كان له
أولاد كأولادي ، وخدم كخدمتي ، فإن هؤلاء شفاعتي كافية له
بلا نزاع ، وإذا كان القاري لا يصدق ، ولا يؤمن كما يمانى
بشفاعة هؤلاء لي ، فليتنظر حتى تقوم الساعة وينصب الميزان

عددت أبواب الغرف وما إليها فاذا هي عشرون ، ومنها
تتألف جوقة موسيقية لا تقتر ولا تهدأ في ليل أو نهار ، وقد
يُست من محل خادمتنا المعجوز التي حملتني طفلاً — على كتفها
أو ذراعها لا في ... — على تزيت هذه الأبواب ، وما أكثر
ما قلت لها إني أشفق على هذه الأصوات الرخيمة أن تبسج ،
فكانت تبسم — أو تظن أنها تبسم — وتقول : « الله يخليك
يا سيدي ! » . فأقول لها : « لا تخافي على فان عمر الشقي ، باق
أي طويل ، ولن غيري يكون وجع القلب ؟ كلا : لا تخافي ،
وإني لن أمان من الموت ما بقيت لي ، فاذا ذهبت أنت بعد عمر
طويل ، فان هناك الأولاد ... ؟ كلا . لا خطر على من هذا
الردى المادي الزاسد لغيري ، المتربص بسواء »

فتدعوني بطول العمر ، ولكنها لا تزيت الأبواب ! وقد
حاولت أن أنهض أنا عنها بهذا المبع ، فكادت تدق عني ،
فكففت بعد ذلك ، ورضت نفسي على السكون إلى هذه الموسيقى
ومن طرائف هذه الخادمة المعجوز أنها لا تكاد تسمع ،
أو تبصر ، فهي لا تكاد تفهم . وأنا رجل خفيض الصوت
جداً ، وأحتاج أن أكلها — فإني من هذا مفر في بعض الأحيان —
فأنادي أحد الأبناء الأفاضل وأقول له — وأنا أعلم أن هذا
يسره — اتقل على بصوت عال ، فيقل ، ولكن اللعين يبيع
في أذني أنا ! ثم يقع على الأرض من الضحك

ويكون الزلزالان الصغيران في المدرسة ، وتكون في حاجة
إلى كلام الخادمة ، فاذا أسمع ؟ لقد جربت عبث الصياح ، فان
أقول لها « هاتي قهوة » . فتنبش شيئاً ثم ترد إلي ، وتدعوني
أن « أفضل » فأستجيب ، وأسأل نفسي : « ماذا يا ترى ؟ هل

شرب القهوة يستدعي أن تجرني هذه المعجوز إلى غرفة أخرى ؟
وأطيع ، وأخرج ، وأتيها ، فاذا هي قد أعدت لي طشتاً وإبريقاً
وسجادة للصلاة ! !

لهذا صرت إذا احتجت أن أطلب منها شيئاً ، أكتب لها
رقعة بما أريد ، تذهب بها إلى البقال أو النجار ، أو الجيران ،
ليشرحوها ويبينوا لها ما فيها ، وما أكثر ما يمايها البقال ! !
ولا أستطيع أن أنهرها ، أو حتى أن أظهر لها الغضب
أو الامتناع ، أو الضجر ، فقد ربنتي صغيراً ، وليس هذا ذنب ،
ولكنها تمدني « ملكاً » لها ، وترى أن هذا يحولها حقاً
على ، فالبيت كله بيت « ابنها » بما فيه ، ومن فيه ، ومن كان
لا يعجبه هذا فليتنقل !

على أن مصيبة الأولاد أدهى ، تكون الساعة الخامسة
صباحاً ، فأسمع قرأ على الباب ، فأفتح عيني وأقول « تفضل ..
تفضلاً ... تفضلوا ... أو تفضلن » فيدخل اللعين الصغير الذي
نسميه « ميدو » — وهي عندنا صينة التصغير لبعد الحميد —
فيدور بيننا هذا الحوار

بابا

نعم ياسيدي

صباح الخير أولاً

صباح الخير ياسيدي . خير إن شاء الله ؟

الساعة كم الآن ؟

الساعة ؟ أو ليس عند ماما ساعة ؟

عندها ساعة . ولكنها قالت لي البارحة إنها خربت ووقفت

هي قالت ذلك ؟ وحضرتك صدقتها ؟

وهل ماما تكذب ؟

أعوذ بالله ! ! مستحيل ياسيدي . وهل يكذب

إلا الكذاب ؟

وأخبره أن الساعة الخامسة فيقول

أنا ذاهب إلى المدرسة

فأصيح ، وأستوي قاعداً ، « أي مدرسة يا أخي ؟ وهل

صارت المدارس في عهد هيكل باشا تفتح قبل الفجر ؟ أما إن

هذه لبيلة ! رح يا أخي ، رح نم ! »

فيقول « بس اسمع يا بابا »

فأقول وأنا أعيد رأسي إلى الخدعة « سامع . تفضل »

— بقى الأفندي قال لنا « يجب أن نكون موجودين في منتصف الساعة الثامنة، وأن من يتأخر عن هذا الموعود لا يشترك في الرحلة » فأشنعني أن أقول في هذا « الأفندي » أشياء كثيرة . وأقولها فعلاً ، ولكن في سرى ؟ كما كانت تفعل حجابي . أي نسج حجابي ، فقد كانت في هذا قدوة ، ومثلاً يحتذى . وكانت إذا سخطت على إنسان ، توسمه ذمماً ، وسباً ، ولمناً ، في سرها ، وكانت تجدد في هذا شفاء لقليلها ، فتتبسّم ، وتتهنّد ، وتضع يدها على قلبها وتقول « أبوه كده ! الحمد لله ! كنت سأطيق » وأقول للفلان « ولكن أين نحن من هذا الموعد ؟ اذهب ، ونم » فيقول : « لا يا بابا ، لئلا أتأخر »

فأقول : « يا أخى ، وما ذنبى أنا إذا تأخرت حضرتك » فيقول : « إنما أردت أن أسألك هل أصوم ؟ لأنى أكلت في السجور مع ماما »

فأهز رأسي ، وقد فهمت ، ذلك أن ماما لا بد أن تكون هي التي أوهرت إليه أن يكره فيسألني هل بصوم أو لا يصوم وأقول له : « إنك صمير ، جدأ ، والصيام غير مفروض عليك ، ثم إنك ذاهب لتلب ، وتنط ، فستجوع بسرعة ، فيجب أن تأخذ معك طعاماً وإلا مت من الجوع »

فيسألني « وماذا آخذ معي ؟ إنهم لم يمدوا لي شيئاً » فأغتنم هذه الفرصة ، وأقول له « يا عبيط ! كيف تقول إنهم لم يمدوا لك شيئاً ؟ أو تنهم ماما بمثل هذا الإهمال ؟ » فيسألني « هل تعنى ... ؟ »

فأقاطعه وأقول بصوت كالهمس « اسمع ، لقد هيأت لك ماما كل شيء ، ولكنها لم تخبرك حتى لا تخرج قبل الأوان ، ثم لتفاجئك فتسرك ... ماما لطيفة ، أليست كذلك ؟ (فبهز رأسه موافقاً) ولكني صرت أخشى الآن أن تتأخر ، وقد قال لك الأفندي إن من يتأخر لا يشترك في الرحلة ، فاذهب إلى ماما ، وأيقظها بلطف ، وصيغها بخير ، وارج منها أن تعطيك ما هيأت لك ... وستنق لي أنها صنعت شيئاً ، لأنها تعتقد أنك بكرت جدأ ، وساعتها كما تمل واقفة ، فافهمها أن الوقت قد أؤف ، وخذ ما تعطيك ... والآن اذهب ، ومع السلامة ، وإن شاء الله نراك ونراها بخير »

فيذهب مسروراً ، فأنهض خفيفاً ، وأمشي إلى الباب على

أطراف أصابعي ، وأوصده بالفتاح ، لأنى أعرف ما يحل بي إذا تركته مفتوحاً !!

والمثل يقول « جن الذي نجا من الموت ! » فلا تمضي دقائق حتى أشفق أن يتمشم الباب ، ويتحلم رأسي ، فلا يـ...نى إلا أن أفتحه ، فتدخل ماما ، كالأعصار وتصيح بي : « هذا الذي صنعت ؟ تفرى الولد بي ، فيوقظني في هذه الساعة وأنا صائغة !! »

فأقول : « ساعتك واقفة ؟ أليست كذلك ؟ »

فتقول ، وهي تغالب الضحك « بـنى إيه ؟ »

فأقول ، وأنا أعود إلى السرير « يعني دقة بدقة ، والبادي أعظم ! »

فتقول : « راجع إلى السرير ؟ » وأنا أوتنام أشي جميل !

فأقول : « من الذي ألقى صاحبه ؟ »

فتقول : « إنك أنت سبب القلق والمتاعب كلها في هذا البيت »

فأقول : « غفر الله لك يا امرأة ! اذهبي وتوبي إلى الله واستغفري لذنبيك عسى أن يرحمك »

فلا يجدي هذا النصيح ، وينتهى الأمر بأن أجمع الخدعات للبعثرة في الغرفة ، وأعيدها إلى حيث كانت ، وأنا أنهج من التعب ، وأتمثل بقول الشاعر :

« ومن ظن أن سيلاقى الحروب وأن لن يصاب ، فقد ظن مجزاً »

وهكذا ، وهكذا ، إلى آخره ، إن كان له آخر . فالحق

أن أجرى عظيم في رمضان !

برهيم عبد القادر المازني

التعليم والمتعطلون في مصر

أول كتاب من نوعه . يلقى مسؤولية التمثل على التعليم الحاضر ويوضح أثر السياسة القديمة وآثار سمد زغلول فيه . ويشرح آلام المعلمين والآباء والطلبة وآمالهم جميعاً . ويبين بجلاء عيوب المدرسة المصرية وطرق إصلاحها . ويرسم خطة السياسة التعليمية الجديدة كما يضع حلاً لمشكلة المتسطلين .

رسم الاشتراك فيه ١٠ قروش

يرسل لمؤلفه الأستاذ عبد الحميد مطر بمدرسة حلوان الثانوية

وثمنه بند الطبع ٢٠ قرشا